المحاضرة الخامسة

خمس نقاط حول الزواج

النقطة الأولى: الزواج عبادة

المُقبِل على الزواج -رجلاً كان أو امرأة- مقبلٌ على عبادة؛ لأن أفعال المسلم كلَّها -إذا نوى بها التقوّي على طاعة الله وامتثل فيها أمره عز وجل- كانت له عبادة، فطعامه وشرابه ونومه وزواجه... كلُّه عبادة إن اقترن بنيَّة صالحة وامتثل فيها أمر الله؛ إذ العادات تنقلب بالنية الصالحة إلى عبادات، وتنقلب بالنية السيئة إلى خطيئات.

وبناء على هذا يكون الشاب العازف عن الزواج عازفاً عن عبادة.

دَرَس العلماء في كتب الفقه مسألة تقول: أيهما أفضل: الزواج، أم التفرُّغ للعبادة؟

قال جمهور العلماء: الزواج أفضل من التفرُّغ للعبادة؛ لأن نَفع العبادة قاصر، في حين يتعدى نفع الزواج؛ فالمتزوج يَنفَع نفسَه، وزوجَه، ومجتمَعَه. يقول النبي ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيقضي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال:

obeikandl.com

«**أرأيتم لو وضعها في حرام، أليس عليه وزر؟**» قالوا: بلى، قال: «**كذلك لو وضعها في حلال كان له أجر**»(١).

فكلُّ ما يتحمَّله الشاب من متاعب في سبيل الزواج له به أجرٌ، وقد قيل: الأجرُ على قدر المشَقَّة.

النقطة الثانية: المتزوِّج مُعَان

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»(٢).

المتزوج مُعان من الله سبحانه وتعالى، يعينه مادياً ومعنوياً ونفسياً وإيمانياً وأخلاقياً...

يعين الرجل الذي يكدّ في عمله كل يوم من الصباح إلى المساء لأجل قوت أهله. يعين المرأة تحمِل جنينها تسعة أشهر، وتلاقي في ولادته ما تلاقي من الآلام، ثم تجدها تُسَرّ بذلك. وقد جَرَت سنَّة الله تعالى أنه: (**إذا كَلَّفك أعانك**).

ذكِر في نوادر الأدب أنَّ أماً رُزِقت بوليد، وتعلَّقت به تعلُّقاً كبيراً، فكانت إذا أزالت عنه ما يخرج منه أنشَدَت تقول:

يا حبذا ريح الولد مثل الخزامى للبلد

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي.

أهـكـذا كـل ولـد أم لم يَـلِـد مـثـلي أحَـد؟

وعلى الطرف المقابل: مَن ترك الزواج فاتته معونة الله إيَّاه. خاطَبَتْ أستاذة جامعية غير متزوِّجة في كلية الطِّب بجامعة أوربية طالباتها: (أيتها الطالبات، أنصحُكُنّ بالزواج الآن، فإني خَسرتُ أغلى شيء في حياتي، خَسرتُ الأمومة والزواج).

النقطة الثالثة: على قدْر بُعدِك عن الحرام قبل الزواج تَسْعَد مع زوجتك بعد الزواج

وهذا ميزان دقيق، أدقُّ من ميزان صائغ الذهب، بل أدقُّ من الشَّعرة.

قام ستة من طلبة كليَّة الطب في جامعة دمشق بدراسة ميدانية - مشروع تخرج- عام (١٩٩٧م)، وكان موضوعها: (العلاقة الجنسية الشرعية وغير الشرعية في مدينة دمشق وريفها)، وُزِّعَت خلال هذه الدراسة استمارات على شريحة اجتماعية عشوائية، وكانت الاستمارات نوعين: (استمارة متزوِّج، استمارة عَزب).

حَوَت كلُّ استمارة مئة سؤال، وكان من ضمن أسئلة المتزوجين: هل كانت لك علاقة غير شرعية قبل الزواج؟ هل أنت سعيد في علاقتك الخاصة مع زوجتك؟

جاءت النتيجة: كلّ الذين كانت لهم علاقات غير شرعية قبل الزواج لم يكونوا سعداء بعده.

هذه النتيجة تدلّ على أن الميزان دقيق، والناقد بصير!!

إن من أخطر ما يقع بين بعض الشباب اليوم أنهم يفلسفون المعصية لأنفسهم، يقولون: شيءٌ من الخَمرة تُنعش الفكرة، والعياذ بالله، ويقول آخرون: إن علاقته غير المشروعة مع الفتيات تدريبٌ على العلاقة المشروعة. أقول: إذا أمرَك الله بأمر فامتثل لأمر الله، وإذا نهاك عن شي فانتهِ عنه، فإنه لا يأمرك إلا بالخير، ولا ينهاك إلا عن الشر.

النقطة الرابعة: لا صحَّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية

أعجَبُ من بعض الشباب يتحدثون فيما بينهم، يقول أحدهم للآخر: لابدَّ أن تقيم علاقة مع فتاة، حتى تعرف كيف تُكلّم زوجتك بعد الزواج، وكيف تجالسها، وكيف تكون معها في الخصوصيات!! وأعجب من فتاة تقول لصاحبتها: لو أقمتِ علاقة مع شاب، فتعرفي ماذا سيحدُث بعد الزواج!!

ولعل شاباً يعطي صاحبه قرصاً مضغوطاً أو شريط تسجيل مصوَّراً أو ما شابه ذلك، يقول له: شاهِدْه من أجل الزواج، لتعرف كيف تتزوَّج، وماذا يحدث في الزواج!! ولعل الفتاة تفعل ذلك. والأعجب من هذا أن تأتي أمٌّ لابنتها بمثل هذا الشريط، أو يأتي أبٌ لابنه به!

إن هذه المقولات خاطئةٌ بلا ريب، بل تقِفُ على حافة الهاوية لتُردي بمُصَدِّقها في أودية السّوء والمعصية.

أقول: العلاقة الخاصة بين الزوجين علاقةٌ فطرية، فلو افترضنا وُجود رجل وامرأة من دون ثالث في هذا الكون، وأمَرَهما الله تعالى بالزواج لَعَلِمَا كيف يتمُّ الزواج، وهكذا تمّ الأمر بين آدم وحواء عليهما السلام. وفي هذا المعنى نقول: مَن الذي علَّم الوليد أن يلتَقِم ثديَ أمِّه بادئ الأمر؟ من الذي علَّمه أنَّ رِزقَه في هذا المكان؟ في كليَّات طب الأسنان تُدرَس عمليَّة الرضاع لدى الوليد على أنها عمليَّةٌ فيزيولوجيةٌ معقَّدة، وليست مجرَّد عمليَّة مصٍّ بسيطة! تُرى مَن الذي علّم الرضيع هذه العملية؟ إنه الله، الذي أراد استمرار الناس في الحياة، فعلّمهم وفطَرَهم على ما يُصلِح حالهم، ويكفَل دوامَ بقائهم.

مَن الذي درَّب الولد أن يرفع يده إن وضعها على شيء حار حتى لا تحترق؟ من الذي علَّمه أن يبكي إذا جاع؟ إنها الفطرة التي استودعها الله تعالى في كل إنسان.

ومن هذه الفطرة كانت العلاقة الخاصة بين الزوجين، علاقة فطرية لا تحتاج إلى فلسفة وتعقيد، وكلُّ الدِّعايات الهابطة والساقطة تسعى إلى طيِّ هذه الفطرة، ونشر الرذيلة والإساءة إلى الجيل.

بل إنَّ لهذه الدعايات مفعولاً مغايراً لما يدّعي مروِّجوها، فقد ثَبَتَ علمياً أن من يشاهد الأفلام الجنسية الهابطة، رجلاً كان أو امرأة، لا يرتاح أبداً في علاقته الخاصة مع زوجه؛ لأنها تحتوي على أخطاء جنسية فادحة، لها نتائج وخيمة على الزوجين، ولأنَّ

الرجال يختلفون بعضهم عن بعض، وكذلك النساء يختلفن، والمعيار نسبيٌّ، فما يعجب هذا يشمئزّ منه ذاك، وما تحبُّه هذه تنفُرُ منه تلك، وهكذا الأمر، لكلٍّ خصوصيته، ويلهمُه الله تعالى إشباع حاجته مع زوجه فطرةً مع انضباط بالشرع.

ثم إننا عبيدٌ، إذا قالَ لنا ربنا: غُضوا أبصاركم، غضضنا أبصارنا، نُنفِّذ أمرَ ربِّنا، عَلِمنا المقصد أم لم نَعلَم، فهمنا الحكمة أم لم نفهم، ولا نفلسِف المعصية التي تُفسِد الأسرة وتُدمّر روابطها.

النقطة الخامسة: أصعب عام في الزواج هو العام الأول

هذه حقيقة علمية؛ ذلك لأن الزَّوجين شخصان مختلفان، جاءا من بيئتين دينيَّتين وثقافيَّتين واجتماعيَّتين وماديَّتين... مختلفتين.

وبدءاً باليوم الأول للزواج سيشترك الاثنان في دقائق أمور الحياة وجليلها، والمتوقَّع علمياً أن يختلفا اختلافات كثيرة، ولا شكَّ أنَّ تحويل الخلاف إلى تكامُل لا إلى تقاتُل أمرٌ ليس بالهيِّن، لذلك قلنا: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ومن ثَمّ يكون العام الثاني أسهل، بسبب تفهُّمِهمَا لطريقة تعاملٍ أفضل أحدهما مع الآخر، ثم العام الثالث أحسن، وهكذا.. كلَّما مر عليهما الوقت ازداد الوفاق، وقلَّ الخلاف، أو قُل: استطاعا احتواءه والتعامل معه. فلا يتشاءم الزوجان مما يَعْتَرضهما من اختلافات في سنتهما الأولى، بل ليواجها ذلك بأمل وعزيمة، وتصميم على تجاوز العقبات واستمرار الحياة.

كتَبَت الجرائد في إحدى الدول العربية: (أصبح الطلاق في السنة الأولى ظاهرةً في البلد)، وأظنُّ أنَّ سائر البلاد مثلها، وما ذلك إلا بسبب ما يظنه القادمون على الزواج أنه حبٌّ، ووئامٌ، وشهرُ عسل، وسلام، من دون صعوبات ومنغِّصات، فإذا تزوَّجوا وجدوا الأمر على غير ما استعدوا له.

ولو أننا هيأنا القادمين على الزواج تهيئة صحيحة وذكَرْنا لهم الحبَّ والوئام الواقع في الزواج، والصعوبات والخصام فيه، ودرَّبناهم على قبول الإيجابيات، وطُرُق معالجة السلبيات لكان الأمر على غير ذلك.

وأعود لأقول: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ثم العام الثاني أحسن، والثالث أحسن، ثم يصل الزوجان بعد مدة إلى مرحلة تتقارب آمالهما وآلامهما تقارباً كبيراً، بل إنَّ دراسات حديثة تذكُر أن الزوجين اللذين يعيشان أحدهما مع الآخر سنوات طويلة تتقارب أشكالهما، ويتشابهان حتى في معالم وجهَيهِما.

وبناءً على ذلك؛ فإن التفكير بالتراجع، أعني: الطلاق، في العام الأول للزواج وقياس الحياة المستقبلية عليه، والتسرُّع بإصدار الأحكام فيه أمرٌ خاطئ؛ لأن ما بعد العام الأول غالباً ما يكون أفضل منه، ولا ننسَ أنَّ الأجر على قدْر المشقَّة.

وبعد، فهذه خمس نقاط حول الزواج عرضتها في هذه المحاضرة:

الزواج عبادة. المتزوج معان. على قدْر بُعدك عن الحرام قبل

الزواج تَسعَد مع زوجك بعد الزواج. لا صحَّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج؛ لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية. أصعب عام في الزواج هو العام الأول.

والله أعلم.

obeikandl.com